الثورة المعلوماتية والحاجة إلى التربية الإعلامية

الدكتور عبدالعزيز المنتاج
المغرب

ملخص

شهد العالم بداية من منتصف القرن العشرين تحولا من مجتمع صناعي إلى مجتمع قائم على الثورة التقنية، فصار مجتمع معرفة ومعلومات، وقد كان الإعلام في صلب هذه المتغيرات، وخاصة بعد اندماج الحاسوب بالمعلومات والاتصال وظهور الإنترنيت، الشيء الذي حول العالم إلى تدفق هائل للأخبار والمعلومات، وأثر بشكل كبير على الوسائل والرسائل الإعلامية على السواء، وحول الإعلام من إعلام خطي الاتجاه إلى إعلام أفقي، ألغيت فيه الحدود الجغرافية، والحدود بين المرسل والمتلقي، وتغيرت فيه طبيعة الرسائل والمؤسسات الإعلامية، وأصبحت الكرة الأرضية قرية صغيرة كما قال ماكلوهان. هذا التغير التقني والإعلامي جعل الأفراد عرضة لتدفق لا متناه من المعلومات والأخبار، وأصبح يشكل الكثير من المخاطر على المتلقين، الذين يجدون أنفسهم عرضة لسيل من الشائعات والأخبار الكاذبة، والمعلومات التي تكرس العنف والكراهية والإرهاب، وخاصة التي تستهدف الأطفال.

ونظرا لأهمية الإعلام في نشر العلم والمعرفة وبناء الذات، وتعارض الحق فيه مع المنع والحرمان، فقد أصبح اعتماد التربية الإعلامية واجبا أساسيا للتوفيق بين هذا الحق وما يمكن أن يعترضه من مخاطر، وذلك لمنح المتلقين وعيا إعلاميا يؤهلهم للتعامل الايجابي مع وسائل الإعلام ومختلف رسائلها، تعاملا نقديا انتقائيا يمكنهم فهم رسائل وسائل الإعلام وإدراك الغايات والأهداف منها، حتى لا يقع ضحية لما تسعى إليه من تضليل وتدجين وغسل للعقول. وهو ما لا يمكن أن يتحقق إلا بتنشئة إعلامية تحمي المتلقين أطفالا وشبانا من مخاطر هذا التدفق المعلوماتي اللامحدود.

الكلمات المفاتيح

الثورة الرقمية، الإعلام الجديد، التربية الإعلامية، التنشئة الإعلامية، التعليم والتعلم.

summary

Since the mid-twenty Century, the world has witnessed a shift from the industrial society to a technology oriented one. Therefore, it has become a society of knowledge and information. Media has always been at the heart of these changes, especially after the evolvement of the computer and the emergence of the Internet, which turned the world into a huge flow of news and information. This has consequently affected the media and the nature of messages; it has transformed the media from linear media to horizontal media wherein geographical boundaries were abolished, and thus the boundaries between the sender and the receiver disappeared conducting a significant change in the nature of exchanged messages. Media institutions have made the world look like a small village as McLuhan said. Such technological and media change have made individuals vulnerable to an endless flow of information and news including plenty fake news, rumors and violence content filled with hatred namely that targeting children.

As a matter of fact, media literacy has become a must vis-a-vis its importance in spreading science, knowledge and personal development. Media literacy has become a basic duty to reconcile this right with the dangers and humiliation it may encounter.

Keywords

The digital revolution - new media - media literacy -media upbringing - teaching and learning.

الثورة المعلوماتية والحاجة إلى التربية الإعلامية

عرف العالم ابتداء من منتصف القرن الماضي تحولا عميقا، بانتقاله إلى مجتمع ما بعد صناعي، أساسه ثورة تقنية دقيقة تعتمد استثمار المعلومات وتداولها، وعمادها خدمات الاتصال والتواصل، وهو ما أطلق عليه لاحقا مجتمع المعرفة أو مجتمع المعلومات أو مجتمع الإعلام، حيث التدفق المتسارع واللانهائي للمعلومات والمعارف والأخبار، وقد انعكس هذا التطور على كل مناحي الحياة بما فيها البنية الفكرية لإنسان اليوم، الذي عرف الصورة قبل أن يعرف الكتابة، والذي وجد نفسه منخرطا في نظام تواصلي لتبادل المعلومات كما يقول فيليب بروتون، خاصة أنه أصبح يعيش في عالم يعد فضاء لنشاط إعلامي غير متوقف، يضمن لكل فرد الحصول على المعلومات والتعرض لها.

إن هذا الانتشار الواسع للإعلام والتدفق اللامتناهي للمعلومات، يطرح الكثير من الإشكاليات المرتبطة بالحقوق والحريات، وخاصة حينما يتعلق الأمر بالأطفال والشباب، صحيح أن الثورة الرقمية وما توفره من معلومات وتكنولوجيا حديثة تساهم في بناء شخصيته وتنمية معارفه وتوسيع إدراكه وتطوير مهاراته، لكنها في الوقت نفسه تهدده بمخاطر لا حصر لها، مثل العنف والتطرف والإباحية والوقوع فريسة للإيديولوجيات الهدامة، والانسلاخ عن القيم الدينية والوطنية. فكيف نمكن الطفل والشباب عموما من فوائد الثورة المعلوماتية، وإحدى أهم آلياتها المتمثلة في وسائل الإعلام، مع الحد في الوقت نفسه من مخاطرها وآثارها السلبية، لقد انتبهت الكثير من الدول المتقدمة إلى هذه المعضلة، ونظراً لأن الحق يسمو على المنع، فقد سارعت إلى اعتماد التربية الإعلامية للملاءمة بين استعمال وسائل الإعلام والتعرض لمضامينها، و بين الحد مما تشكله على النشر من انعكاسات ضارة وفاسدة. فما المقصور بالتربية الإعلامية؟ وما أهميتها وأهدافها؟ وما الأساليب والاستراتيجيات التي يجب على الأطفال والشباب التحكم فيها، للتعامل الايجابي مع المضامين والرسائل الإعلامية؟

1 . التربية الإعلامية[1]، محاولة بناء المفهوم

يتكون مصطلح التربية الإعلامية[2] من عنصرين أساسين، التربية والإعلام، فالتربية "Education" تحيل في عمقها على التعليم والتعلم، واكتساب المهارات والكفايات التي تساعد الإنسان في بناء شخصيته، واتخاذ قرارات وأحكام لمواجهة ما يعترضه من مواقف، أما "الإعلامية " فإنها تخصيص لنوع التربية المقصود، بمعنى أنها كل تعليم وتعلم وتكوين يرتبط بما هو إعلامي ومعلوماتي.

وقد أثار مفهوم التربية الإعلامية منذ ظهوره الكثير من الإشكالات، ومنها إشكال التسمية حيث تعتمد الدول الأوربية مصطلحين مترادفين هما التعليم الإعلامي والتربية الإعلامية (Media éducation)، في حين تعتمد كل من كندا وأمريكا واستراليا مصطلحات أخرى مثل محو الأمية الإعلامية (Media literacy)، أو المعرفة الإعلامية. أما في الدول العربية فالمصطلح الأكثر شيوعا واستعمالا فهما التربية الإعلامية أو الثقافة الإعلامية[3] . كما تجدر الإشارة إلى أنه، وبعد ظهور وسائل الإعلام الجديد، طرأت تغييرات على المفهوم، حيث تم دمج المصطلحين السابقين معا لتظهر تسميات جديدة مثل (Media literacy education و"Media and information literacy" و[4]«New Media» literacy education)

وهي كلها تسميات تمتحي من حقول متداخلة وهي الإعلام والمعلوميات والتربية.

وقد عرفت اليونسكو التربية الإعلامية خلال ملتقى خبرائها في باريس سنة 1979 بأنها "كل طرق الدراسة والتعلم والتدريس، لكل المستويات وفي كل الظروف، لاستخدام الإعلام وتقويمه ممارسةً وتقنيات ومضامين، مع إدراك لأهمية وسائله الإبداعية وحس التعامل معها"[5]، أما إعلان جرانوالد (Grunwald)لسنة 1982 فاعتبر أنها تؤسس ل" فهم نقدي لظاهرة الاتصال ووسائله

لدى الأفراد، باعتبار أن التربية الإعلامية تعليم للمعارف والمهارات والسلوكيات التي تدعم وتشجع نمو الوعي النقدي، وبالتالي رفع كفاءة مستخدمي وسائل الإعلام"[6].

أما معهد أسبن (Aspen Institute) فعرفها بأنها "القدرة على الوصول بشكل استراتيجي إلى الرسائل الإعلامية، وتحليلها ونقلها بصيغ عديدة ومتنوعة[7]. في حين يعرفها مركز التربية الإعلامية بالولايات المتحدة الأمريكية بأنها "المقدرة على تفسير وبناء المعنى الشخصي من الرسائل الإعلامية، والمقدرة على الاختيار وتوجيه الأسئلة والوعي بما يجري حول الفرد، بدلا من أن يكون سلبيا ومعرضا للاختراق"[8].

وإذا كانت المنظمات والمؤسسات والمعاهد قد تعمقت في تعاريفها للتربية الإعلامية، وركزت على ضرورة استحضار كل الجوانب، فإن بعض المختصين قد لخصوا تعاريفهم بشكل مبسط وأكثر وضوحًا، مثل ما اقترح Paul Messaris حين أكد أنها وبكل بساطة هي "معرفة كيف تعمل وسائل الإعلام في المجتمع"[9] .و Mc Brian الذي قال إنها "تعليم الطلاب كيفية تقييم الرسالة الإعلامية التي تحيط بهم، وتزويدهم بالإمكانات لاتخاذ خيارات مسؤولة عما يسمعونه ويرونه"[10] ،في حين اعتبرها ليفنيستون " القدرة على الوصول إلى المعلومات وتحليلها وتقييمها"[11].

يبدو ومن خلال هذه التعاريف، سواء المؤسساتية أو التي أطلقها باحثون ومختصون، أنها ركزت جميعها على طبيعة التربية الإعلامية، باعتبارها تعليم وتعلم وتدريس واكتساب مهارة، تمكن من الفهم الناقد والعميق للإعلام وآليات اشتغاله تقنيات ومضامين، وبالتالي فهم الرسائل الإعلامية وتحليلها وكشف خلفياتها والغايات منها، وهذا لن يتأتى إلا باكتساب ثقافة إعلامية، تفهم الإعلام ووسائله أولا، وتتعرف على مقاصده السياسية والاجتماعية والتجارية والثقافية ثانيا، وهو ما أجمله "Messaris" بقوله إن التربية الإعلامية هي معرفة كيف تعمل وسائل الإعلام، بمعنى تسليح الأطفال والشباب والمتلقي عموما، برصيد استراتيجي يساعده على الفهم الواعي والناقد للرسائل الإعلامية، والإفلات مما تنصبه له من شراك للتأثير عليه والإيقاع به.

أعلن عن ميلاد التربية الإعلامية خلال 1982 بإعلان جرانوالد "Grunwald declaration"، حيث تم التأكيد على أنها تعليم بشأن الإعلام وتكنولوجياته الحديثة، وليس تعليما عن طريق الإعلام، وفي سنة 1984 أصدرت اليونسكو كتابا بعنوان "التربية الإعلامية"، كأول إصدار في هذا المجال، ضمنته دعوة صريحة لمحو الأمية الإعلامية والمعلوماتية، وامتلاك منظومة قواعد التواصل والمشاركة الإيجابية مع وسائل الإعلام المتعددة[12] ، وهكذا بدأ مفهوم التربية الإعلامية يتحدد باعتبارها "عملية ناقدة تساعد الأفراد على تكوين الوعي النقدي حول الرسائل الإعلامية وفهم مضامينها وغاياتها ودورها في بناء وجهات النظر والآراء حول الواقع"[13].

خلال التسعينيات، وبعد ظهور الإنترنيت والإعلام الجديد، وبعد التحول الذي انعكس على وسائل الإعلام بانتقال الجماهير إلى منتجين للرسائل الإعلامية، تغير مفهوم التربية الإعلامية أو على الأقل تم توسيعه ليشمل كذلك إنتاج الرسائل الإعلامية إضافة الى تلقيها وتحليلها[14].

وهكذا انطلق مشروع التربية الإعلامية في الكثير من الدول مثل المكسيك (1993) ، والدنمارك سنة 1995، لتطلق اليونسكو بتعاون مع منظمة المينيتور « A.Minetor" واللجنة الأوربية مشروع تكوين وإعداد المعلمين لتدريس الإعلام لمساعدة الشباب على فهم وتحليل ونقد الرسائل الإعلامية[15].

ومع بداية القرن الحادي والعشرين، انتشر مفهوم التربية الإعلامية بشكل واسع، وانخرطت في هذا المشروع جل الدول مثل كوريا وهونغ كونغ. وتأكيدا لأهمية الموضوع أصدرت اليونسكو مرة أخرى كتابا حول التربية الإعلامية والمعلوماتية مركزة فيه على المفهوم والأهداف، ومؤكدة أن التربية الإعلامية تشمل تطوير الإدراك النقدي والمشاركة النشطة لوسائل الإعلام وتكنولوجياته الحديثة.

نشير في الأخير إلى أن مفهوم التربية الإعلامية يتقاطع مع عدة مفاهيم أخرى مثل الإعلام المدرسي والإعلام التربوي والإعلام التعليمي، فالإعلام المدرسي يهتم بنشر الأنشطة المدرسية مع تعليم الأطفال بعض فنون الإعلام، أما الإعلام التربوي والإعلام التعليمي فهما مفهومان جد متقاربين، يقصد بهما استخدام وسائل الإعلام في التربية والتعليم مع فارق بسيط، يتمثل في كون الإعلام التربوي قد يتعدى حدود المدرسة، فيهتم بنقل القيم والأفكار والقناعات والنظم والنظريات، في حين يقتصر الإعلام التعليمي على تقديم البرامج التعليمية ودعم العمل الذي تقوم به المؤسسات التعليمية[16].

2 . التربية الإعلامية المسار التاريخي والتحول

ظهرت التربية الإعلامية في بداية القرن الماضي بالولايات المتحدة الأمريكية، وقد ارتبط ذلك ببداية استعمال الأفلام السينمائية كوسائل تعليمية، وفي سنة 1933 ظهر كتاب "الثقافة والبيئة: تدريب التوعية النافذة"[17] داعيا إلى ضرورة تنمية الوعي الناقد معتمدًا المواد الصحفية والإعلانات كنماذج، حيث اعتبر أول محاولة لتدريس وسائل الإعلام في المدارس[18]، وقد كان الهدف من تدريس التربية الإعلامية حينها تشجيع الطلبة والمتعلمين على التمييز والمقاومة وتنمية الحكم والذوق الصحيحين، من خلال استيعابهم للقيم الصحيحة والثقافة الراقية مقابل القيم التجارية والاستهلاكية لوسائل الإعلام.[19]

بعد ذلك اعتمدت التربية الإعلامية في الاتحاد السوفيتي من خلال مشروع "سينما وشباب" في خطوة للحد من التأثيرات الجانبية لوسائل الإعلام[20]، لكن وبداية من الخمسينيات بدأ المصطلح ينتشر في كل الدول المتقدمة مثل كندا وفنلندا واسكتلندا والنرويج واسبانيا وبعض دول أمريكا اللاتينية، وإن ظل تدريس التربية الإعلامية في هذه الدول اختياريا. لكن ومع بداية الستينيات بدأت تظهر تجارب أخرى في انكلترا وفرنسا وذلك ارتباطا بانتشار السينما والتلفزيون وبداية سيادة عصر الصورة، وقد جاءت هذه التجارب للحد من تأثيرات الإعلام الفاسدة على الشباب، خاصة في ظل صراع الإيديولوجيات التي كانت سائدة حينها.

في نهاية الستينيات ظهرت بكندا وأمريكا جمعيات لمعلمي التربية الإعلامية، حيث تم إدماجها ضمن برامج التدريس بالجامعات الكندية والأمريكية، ونظرا لأهمية الموضوع فقد سارعت اليونسكو بداية من السبعينيات إلى جعل التربية الإعلامية إحدى أهم أولوياتها، فتم إدراجها في المناهج الدراسية لوزارة التعليم الفرنسية، وقد رافق هذا التطور اهتمام بالتنظير لتبرز حينها مفاهيم مرتبطة بالموضوع مثل نظرية الشاشة والتواصل التربوي.

ويمكننا أن نسجل من خلال تبعنا لهذا المسار عدة ملاحظات أبرزها أن مصطلح التربية الإعلامية بدأ كمشروع مرتبط باستخدام وسائل الإعلام في التعليم وانتهي إلى كونها، أي التربية الإعلامية، تعليم للإعلام، كما نسجل أن التربية الإعلامية قد ظهرت في أول الأمر كمشروع دفاع ومقاومة وحماية لكنها مع الثورة الرقمية أصبحت مشروع تكوين وتمكين وإنتاج، وأن الأمر في البداية كان مقتصرا على الرسائل والوسائل الإعلامية والآن صار مشتملا، إضافة إلى ذلك، على تلقي المعلومات وامتلاك تكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة، كما نسجل أخيرا عدم اهتمام الدول النامية ومنها دول العالم العربي بالتربية الإعلامية، رغم أن اعتمادها في العالم المتقدم قد بدأ مبكرا إيمانا منه بأهميتها، فمتى تنتبه هذه الدول لهذا الأمر، أم أن شأن شبابها أمر لا يعنيها ولا يهمها أن تتركه لتأثيرات الإعلام الخطيرة، خاصة في ظل هذا التدفق الإعلامي والمعلوماتي اللامحدود واللامتناهي[21].

3 . التربية الإعلامية: الأهمية والأهداف والغايات

3 . 1 . أهمية التربية الإعلامية

لقد كان من نتائج الثورة الرقمية ظهور إعلام جديد، قائم على التفاعل وسعة الانتشار وسهولة البلوغ والاستعمال، ما أنتج مجتمعات شبكية وفضاءات افتراضية لا متناهية، جعلت الفرد يسبح في سيل متدفق من المعلومات والصور بلا رقيب أو وسيط، وهذا ما زاد من مخاطر وسائل الإعلام على المتلقين، وخاصة الأطفال الذين قد يجدوا أنفسهم عرضة للتضليل الإعلامي والأخبار الزائفة، وضحايا لإيديولوجيات العنف والتطرف والإرهاب والإباحية والإعلانات الاستهلاكية. وللحد من هذه المخاطر أصبحت التربية الإعلامية ضرورة ملحة لحماية الأجيال مما يتهددها من مخاطر وسائل الإعلام، لأنها تعمل على منح الأطفال والشباب مناعة ثقافية وفكرية، وأسلحة نقدية تجعلهم يميزون بين الرسائل والمضامين الإعلامية المفيدة والهدامة، بالتعرف على طبيعتها ومحتوياتها وغاياتها وخلفياتها. فالتربية الإعلامية تحمي المتلقي من التعرض لعملية الاستقطاب الإيديولوجي وغسل الدماغ، وبالتالي تجعله ينمي شخصيته على أسس متينة قادرة على الحكم على الأشياء أحكاما صحيحة بعدم تصديق كل ما يتعرض له من أخبار ومعلومات، وبالتالي أكثر تمسكا بقناعاته وما يميزه عقديا ودينيا ووطنيا.

فالفوضى التي يشهدها المجال الإعلامي اليوم، والتدفق السائل للمعلومات والأخبار، يحتاج إلى مواطن يمتلك دفاعا ذاتيا محكما، يجعله قادراً على رد ما يستهدف قناعاته الشخصية والمجتمعية. فالتربية الإعلامية بالإضافة إلى قدرتها على التصدي لتحقيق هذه الأهداف، تبقى تأكيدا على ضمان حرية التعبير وحرية الوصول إلى المعلومات، وتشجيع على امتلاك أساليب التعامل مع التطور التكنولوجي لوسائل الإعلام والاتصال والاستفادة منها ومما تنشره من معارف ومعلومات مفيدة.

لقد أكدت ندوة اشبيلية سنة 2002 حول التربية الإعلامية على أهميتها لأنها تمكن الجمهور من اختيار الوسائل الإعلامية المناسبة والجيدة، مع إمكانية تكوين آراء نقدية حول مضامينها الإعلامية[22]، وهذا لن يتأتى إلا بالوعي بتأثير وسائل الإعلام، وفهم كيف تتم عملية الاتصال، والتمكن من تحليل الرسائل الإعلامية والتفكير فيها تفكيرا نقدياً مبنيا على الشك، لكشف من وراءها؟ وما الغاية منها؟ والخط التحريري الذي يحكمها.

فبالإضافة إلى أهمية التربية الإعلامية للشباب لتمكينهم من الاستعمال الآمن لوسائل الإعلام، فإنها كما يقول "Carlsson" فإنها تعمل على عدم حرمان المتلقي من استعمال وسائل الإعلام الجديد باعتباره مظهرا من مظاهر الحضارة والثقافة في المجتمع، ناهيك عن مبررات أخرى تظهر أهمية التربية الإعلامية مثل تعزيز الثقة بالنفس والشخصية، وتعزيز الدافعية للتعلم وتنمية مهارات التفكير النقدي[23].

3 . 2 .: أهـداف التربية الإعلامية

تهدف التربية الإعلامية كما أسلفنا إلى تكوين الوعي الناقد لدى متلقي الرسائل الإعلامية، وذلك لتمكينه من بناء آراء وأحكام مستقلة بشأن محتويات ومضامين الرسائل الإعلامية[24]، وهذا لن يتحقق إلا بتكوين وامتلاك ثقافة إعلامية تؤهله لفهم طبيعة وسائل الإعلام وأنواعها وكيفية إنتاج رسائلها والأشياء المتحكمة فيها، كالاستقلالية وطبيعة الوسيلة والخط التحريري.

تختلف أهداف التربية الإعلامية حسب طبيعة المتلقي، فإذا كان طفلا فإن التربية الإعلامية تعمل على حمايته من الآثار السلبية الناجمة عن تعرضه لوسائل الإعلام، بمعنى أنها وقاية للنشء والشباب بتمكينهم من آليات واستراتيجيات دفاعية تساعدهم على انتقاء

المحتويات الإعلامية المفيدة لهم، ويحدد "Massey" الهدف من التربية الإعلامية في " جعل الأفراد مشاركين نشيطين في عملية الاتصال، وفي إيجاد المعنى بدلا من أن يكونوا كقطع شطرنج في يد القائمين به"[25].

وقد حدد "Potter" أهداف التربية الإعلامية فيما يلي:[26]

- زيادة الفهم لجوانب الإعلام المتعددة.
- زيادة التحكم في عملية تفسير وتحليل الرسائل الإعلامية بأشكالها المختلفة.
- تعزيز وزيادة التقدير السليم للمضامين الإعلامية.
- تعليم الأفراد تقييم وتقويم المضامين الإعلامية وإنتاجها.
- اطلاع الأفراد والرأي العام على كيفية اشتغال وسائل الإعلام وخلفيات رسائلها وتأثيراتها على الفرد والمجتمع.

أما مؤتمر فينا 1999 فلخص أهداف التربية الإعلامية في:

- التعريف بمصادر الإعلامية ومقاصدها.
- فهم الرسائل الإعلامية وتفسيرها وتحليلها وكشف ما تحمله من قيم
- تحليل وتقديم الآراء النقدية للمضامين الإعلامية.

أما كارلسون فلخص أهداف التربية الإعلامية، كما جاء في مؤتمر باريس عام 2007 في كونها تعطي مدخلا للاستفادة من جميع أنواع وسائل الإعلام، وتعلم وتطور مهارات التحليل الناقد للمضامين، سواء كانت إخبارية أو ترفيهية، وذلك لتعزيز قدرة المتلقي وجعله مستخدما نشيطا[27].

3 . 3 . غايات التربية الإعلامية

يفترض في طلاب التربية الإعلامية أن يتمكنوا من مهارات وسلوكات تساعدهم على تحقيق أهدافها، ومن السلوكات المتوقعة:

- استخدام وسائل الإعلام بحكمة وفعالية.
- امتلاك التفكير الناقد عند تقييم الرسائل الإعلامية.
- التحقق من مصداقية المعلومة من مصادر مختلفة.
- الفهم لسلطة الصورة والتمكين من كيفية قراءتها.
- إدراك التنوع الثقافي وتقدير الاختلاف في وجهات النظر.
- التعبير عن الرأي بوضوح وثقة في النفس.

– إدراك تأثيرات وسائل الإعلام على المعتقدات والمواقف والقيم المواقف والقيم وأنماط السلوك[28].

بالإضافة إلى كونها تسعى إلى تدعيم:

– الشك في كل ما تقدمه وسائل الإعلام وعدم الاقتناع به بسهولة.

– البحث عما وراء الرسالة الإعلامية وما تحاول تمريره.

– إدراك مخاطر الرسائل الإعلامية والتعامل بحذر عند النشر احتراما للخصوصيات وحقوق الآخرين.

– ربط المضمون الإعلامي بالوسيلة الإعلامية وبالجهة المالكة أو المنتجة لها. وتحليل القاموس المستعمل في المضمون لفهم الخط التحريري للوسيلة الإعلامية.

أما مميزات التربية الإعلامية فهي تربية مضادة، دفاعية ناقدة ومبدعة مرتبطة بحياة الأفراد، تمكنهم من امتلاك مهارات واستعمالها في حياتهم اليومية، خاصة أنهم اليوم أصبحوا عرضة لكم هائل من الرسائل الإعلامية وفي كل مكان، سواء في البيت أو الشارع أو السيارة أو الهاتف، وإحساس الطفل أو الشباب بامتلاكه لمهارة فهم واختيار الرسائل الإعلامية المناسبة يجعله أكثر دافعية للبحث والاكتشاف والتعلم، ما يعد تقوية للشخصية وبناء الذات بناء رصينا قد ينعكس على ملكة تفكيره في كل مناحي الحياة. وبالتالي القدرة على اتخاذ القرارات الصائبة ومواجهة ما يعترضه من مشاكل في حياته.

4 . الحاجة إلى التربية الإعلامية في المغرب

يعتبر المغرب من بين دول العالم المؤهلة للاندماج والانخراط في المجتمع الدولي، وذلك بفعل عوامل جغرافية وسياسية واقتصادية واجتماعية، وقد سعى المغرب مبكرا لهدم الهوة الرقمية والانفتاح على الثورة الرقمية، سواء بنشرها وإتاحتها للجماهير، أو من خلال محاولة اللحاق بالدول المتقدمة التي قطعت أشواطا كبيرة في الرقمنة وعلى جميع المستويات. وخاصة على مستوى الانتشار الإعلامي الذي عرف انفجاراً كبيرا وتدفقا هائلا، تمثل في ظهور ملايين الصفحات الشخصية، وآلاف المواقع والقنوات الخاصة، وتجدر الإشارة إلى أن المغاربة من أكثر الشعوب العربية استعمالا لوسائل التواصل الاجتماعي. كما أنهم يقضون معدل ساعتين ونصف يوميا في تصفح هذه المواقع[29]، إن هذا التمكين التكنولوجي يجعل المغاربة وخاصة الشباب عرضة لتدفقات لانهائية من المعلومات والرسائل الإعلامية، بشكل لا يمكن التحكم فيها أو مراقبتها، تقول شارلين بورتر (Ch.Porter): " تسمح تكنولوجيا وسائل الإعلام الجديدة للناس العاديين بخلق معلومات لا تكتشفها وسائل الإعلام التقليدية"[30]، وما يزيد من الإقبال على هذه الوسائل الإعلامية الجديدة أنه يعطي للأفراد كما تقول ماريا جيورجيو مجالا للتواصل لا يعطيها لهم الإعلام المسيطر"[31].

إن هذا التدفق الإعلامي له ايجابيات لا حصر لها، لكنه في الوقت نفسه، له انعكاسات سلبية على الفرد والمجتمع، وخاصة في صفوف الأطفال والشباب الذين يبقون أكثر عرضة لمخاطر الإعلام والمعلومات، وبالتالي أكثر عرضة للانحراف والتطرف والعنف والانسلاخ الهوياتي وفقدان النموذج والابتعاد عن القيم النبيلة، ناهيك عن ترويج الإشاعات والتضليل والإساءة للآخرين والإباحية ونشر الكراهية. وللحد من هذه المخاطر يجب الإسراع باعتماد التربية الإعلامية ضمن المناهج الدراسية ولجميع المستويات، فأطفال المدارس الابتدائية يجب أن يدرسوا تربية إعلامية تقربهم من أنواع وسائل الإعلام وأنواع الرسائل الإعلامية، مع التركيز على مخاطر الإعلام والمواقع التي يجب أن يبتعدوا عنها، بالإضافة إلى تعليمات ونصائح يتم التركيز عليها عند استعمالهم للصفحات الشخصية، كحماية الحقوق الخاصة والمعلومات الشخصية، وحسن التعامل مع المعلومات والمعارف والوسائل والأشخاص.

أما تلاميذ الأسلاك العليا، كالإعدادي والثانوي فيجب أن تقدم لهم التربية الإعلامية ضمن المقررات الدراسية مع التركيز على أنواع الإعلام وأنواع الوسائل، وكيفية تحليل المضامين الإعلامية، وقراءتها قراءة مشككة وناقدة، بتمكينهم من ثقافة إعلامية تؤهلهم لمعرفة مالكي الوسائل الإعلامية وتوجهاتهم وخطوطهم التحريرية، وامتلاكهم استراتيجيات فك الرسائل الإعلامية وخطاباتها بدءا من الصور والعناوين والمضامين، حتى لا يقعوا ضحية للتدجين والإغراءات الإيديولوجية بشتى أنواعها.

لقد عاش المغاربة مناسبات كثيرة وقفوا من خلالها على ضرورة خلق وعي إعلامي، يحمي الأفراد والمجتمع من التضليل الإعلامي وتصديق الإشاعات، أول هذه المناسبات، ما عاشه المغاربة خلال وباء كورونا وما رافقه من فزع رهيب، حيث تناسلت الإشاعات، وكثرت البلاغات الكاذبة، وعجت مواقع التواصل الاجتماعي برسائل وصور وفيديوهات زادت من نشر الهلع بين السكان، ناهيك عن انتشار الاوديوهات الكاذبة التي تروج لأخبار زائفة، كما انتشرت فيديوهات لمواطنين ينشرون الخرافات وقدرتهم على معالجة كورونا بالأعشاب وأوراق الأشجار، وأن هناك أشخاص يعالجونها بالطب التقليدي. نفس الشيء حدث خلال زلزال الحوز الذي ضرب المغرب في شتنبر 2023 ، والذي نشطت فيه الأخبار الزائفة والعناوين المضللة التي أثرت على السلم الاجتماعي، مثل ظهور أوديوهات وانتشارها على نطاق واسع بين السكان، تخبرهم بضرورة مغادرة بيوتهم أو المبيت خارجها، كما ظهرت فيديوهات مركبة لأشخاص يدعون أنهم علماء زلازل، وهم يعلنون أن هناك ارتدادات ستحدث في أوقات معينة، وأن بعضها قد يسبب في تسونامي، هذه الأخبار الكاذبة تسببت للسكان في الكثير من المتاعب وأصابت الكثير منهم بفوبيا وأمراض نفسية اضطروا معها لمتابعة علاجات نفسية، غير أنها من جانب آخر قد أعادت الاعتبار ولو بشكل مؤقت، للإعلام التقليدي أو الرسمي حيث لجأ المواطنون وأمام تناسل الإشاعات إلى التلفزيون للتأكيد مما تصدره الدولة من بلاغات.

ومن الأحداث التي عاشها المغاربة خلال نهاية 2023 موجة الحراك التعليمي التي رتبطت بإضراب أساتذة المغرب لأزيد من ثمانية أسابيع، والتي تخللتها أحداث غيرت من طبيعة الصراع بين الاساتذة والحكومة، والغريب أن الكثير منها كان عبارة عن أخبار كاذبة وإشاعات تم ترويجها على نطاق واسع، اضطر معها بعض الوزراء إلى تكذيبها، كما لجأت بعض الصفحات إلى الرجوع إلى فيديوهات قديمة وأعادت نشرها من جديد، ما شجع على تداولها على نطاق واسع، وكأنها تصريحات آنية مرتبطة بالأزمة الحالية، وقد وقع الكثير من الاساتذة ورجال الإعلام أنفسهم ضحية لهذه المنشورات دون تحري صدقيتها وتاريخها، سواء من خلال فحصها وفحص تاريخها، أو من خلال تحليل مضامينها ، والانتباه إلى كونها غير مرتبطة بإضرابات الأساتذة، وتتجلى خطورة مثل هذه الممارسات في كون الكثير من الناس يسارعون إلى مشاركتها بحسن نية، ولا يتراجعون عن نشرها إلا بعد أن يكتشفوا أنها قديمة، لكن بعد أن تكون قد انتشرت جماهيريا وبشكل كبير.

في الأخير نشير إلى بعض الأحداث التي تعضد فكرتنا والتي تؤكد خطورة وسائل الإعلام ومخاطره على الأفراد، كانتشار بعض الفيديوهات التي تظهر مشاهد قتل أو اغتصاب ونسبتها إلى مدن و أحياء مغربية، أو بنشر صور لاعتداءات أمنية على مواطنين، وهو ما يفرض على المسؤولين إصدار بلاغات تكذيبية، نفس الأمر خلال الحروب حيث تنشأ حرب إعلامية موازية لا أخلاقية، كأن تنشر فيديوهات من دول أخرى وتنسب للدولة المستهدفة، وهو ما يقتضي من الجماهير الكثير من الحصانة والثقافة الإعلامية، لفهم المغزى من الرسالة الإعلامية وخلفياتها، بتحليلها سيميولوجيا ولغويا وتقنيا، للتأكد من صدقيتها والغاية منها.

5 . ماذا ندرس في التربية الإعلامية؟

إذا كانت المنظمات الدولية وعلى رأسها اليونسكو تشدد على ضرورة إدخال التربية الإعلامية إلى المناهج التربوية وضمن أنظمة التعليم غير الرسمية، لإعداد الجماهير لفهم الثقافة الإعلامية، وتعلم كيفية التعامل معها والمشاركة فيها بصورة فعالة وإيجابية، فماذا يجب علينا أن ندرس للتلاميذ والطلبة لتحقيق هذه الغايات والأهداف؟

5 . 1. الصحافة المكتوبة

يفترض في التربية الإعلامية أن نقدم للشباب ثقافة عامة حول تاريخ الصحافة وعصور ازدهارها حتى نهاية القرن العشرين، وكذلك التعرف على ما يميزها كنوع إعلامي، وخاصة ما يرتبط بأساليب التحرير الصحفي وأنواعه، وباقي الأجناس الصحفية مثل الخبر والمقال ومقالات الرأي والتحرير والتحقيق والاستطلاع والحوار، وما يتحكم فيها من أسلوب وطريقة كتابة، وما يرافقها من عتبات كالعناوين والصور، وهذا كله رهين بمعرفة نوع الصحيفة واتجاهها وخط تحريرها والجهة التي تصدرها.

5 . 2 . الإعلام الإذاعي

يجب أن يطلع المتلقي سواء كان تلميذا أو طالبا على تاريخ مختصر حول الإذاعات وأهميتها وأدوارها التاريخية، كما يجب أن نقدم له نبذة عن البرامج الإذاعية وطبيعتها ومميزاتها وكذلك نشرات الأخبار، مع اطلاعه على نوع الإذاعة واتجاهها والجهة التي تمتلكها لمعرفة توجهها والخط التحريري الذي يحكمها.

5 . 3 . الإعلام التلفزيوني

يعتبر التلفزيون أنجح وسيلة إعلامية على الإطلاق، أولا باعتباره وسيلة إعلامية جماهيرية، وثانيا لأنه بالغ التأثير، وأن هيمنته طغت على كل وسائل الإعلام الأخرى لأنه يفرض عليها زاوية النظر كما قال بيير بورديو[32]، ولهذا عرف نجاحا استثنائيا. يقول دومنيبك وولتون "عرفت التلفزة نجاحا استثنائيا خلال النصف الثاني من القرن 20، فالكل يشاهدها وينتقدها ويحذر منها، لكن دونما قدرة على الاستغناء عنها"[33]، وتتجلى خطورة التلفزيون أنه ينتج ما يسمى بأثر الواقع ويدفعنا لأن نثق أكثر، إنه قادر على إعطاء التمثلات وجودا أكبر، كما أنه يخفي الحقيقة ويظهر ظلالها.

فالتلفزيون يخفي المعلومات والأخبار الأكثر أهمية بتركيزه على الأخبار العامة والتافهة[34]، لهذا و أمام خطورة هذه الوسيلة الإعلامية الكثيرة التأثير، يجب أن تمكن التربية الإعلام الأفراد من امتلاك ثقافة تلفزيونية تساعدهم على التعرف على أنواع إلى البرامج التلفزيونية، من أخبار مباشرة، وبرامج حوارية ومجلات وتحقيقات واستطلاعات و إنتاجات وثائقية، وكيفية فهمها وفك رسائلها ومعرفة خلفياتها وغاياتها وإلى أي اتجاه تريد توجيه المتلقي، وهذا لن يتأتى إلا بتعليم المتلقي معارف أولية حول الصورة، وأنواع اللقطات وتقنيات التصوير وزوايا الكاميرا، وطريقة توزيع وترتيب الأخبار والأسئلة والقاموس اللغوي المستخدم من طرف المقدمين والضيوف، بالإضافة إلى تكوين فكرة مسبقة عن الضيوف أنفسهم، ناهيك عن مالكي القناة وتوجهاتها وخطها التحريري ومدى استقلاليتها.

5 . 4 . الإعلام الجديد أو الرقمي

ما يزيد من خطورة الإعلام الجديد أنه أكثر تخلصا من الرقابة التي تفرضها الدول على وسائل الإعلام، وأكثر تحرراً من المسؤولية المؤسساتية، إذ يصعب على المتلقي معرفة معلومات مفيدة عن صاحب الوسيلة الإعلامية ومالكها، سواء كانت موقعا الكترونيا أو إذاعة أو قناة رقمية أو صفحة شخصية، وخاصة في ظل الانتشار الكبير واللانهائي لهذه الأنواع الإعلامية التي أصبحت تغرق المتلقي في بحر لا نهائي من الأخبار والمعلومات، علما أن عدم معرفة صاحب الوسيلة يجعل من الصعب معرفة توجهها وخطها التحريري

وغايتها. وما يزيد من هذه الصعوبة أن الكثير من هذه الوسائل الإعلامية تعتمد أسماء وهويات مستعارة، وتقدم معلومات وأخبار بعيداً عن أخلاقيات المهنة ولأهداف وغايات غير نبيلة أحيانا، محتكمة فقط للنية السيئة والإساءة ورفع نسب المشاهدة، وأنها تقتحم على المتلقي عالمه الخاص، وبشكل هجومي ولا إرادي. أمام هذا الوضع الخطير يبقى على التربية الإعلامية ولمواجهة هذه الخطورة، التركيز على آليات واستراتيجيات أخرى، كالتركيز على تحليل المحتوى الإعلامي، بناء على الصور واللغة المستعملة والمنطق الذي يحكم الرسالة الإعلامية، وبالتالي مواجهتها بعقل ناقد مشكك، والبحث في خلفيات الرسالة الإعلامية وصورها ومعانيها، مما يؤكد صحتها أو يضعها في خانة التضليل ونشر الإشاعة و الكراهية وتهديد السلم والأمن الاجتماعيين، بمعنى استعمال كل الأساليب الممكنة للتحقق من الرسالة ومحتواها وغاياتها وأهدافها قبل أخذ موقف أو حكم منها.

هـ . الترفيه وألعاب الفيديو

من الآثار السلبية للترفيه وألعاب الفيديو وخاصة على الأطفال، ضياع الوقت وبعض الآثار الصحية وقلة الحركة وإجهاد العينين، والعزلة عن المجتمع والحياة الحقيقية وإدمان الوسائل التقنية والأمراض العصبية، وكذلك بعض الأمراض السلوكية كالعنف والعدوانية، لهذا يجب تكثيف رقابة الأسرة على هذه الأنواع من الألعاب واختيار الايجابي منها، مع تحديد الوقت وتنظيم ممارستها. كما تسمح التربية الإعلامية بمنح الأطفال معلومات عن مخاطر إدمان الألعاب، وتأثيرها على النمو الجسدي والنفسي والعقلي والعاطفي عند الأطفال، وإمكانية تغييرها لسلوكياتهم ودفعهم نحو ارتكاب تصرفات عنيفة اتجاه أنفسهم أو اتجاه الآخرين، مثل ما حدث مع لعبة فري فاير ولعبة الحوت الأزرق اللتين تسببتا للكثير من الأطفال في أمراض حس حركية وسلوكية أدت ببعضهم إلى الانتحار.

5 . 5 . المواقع ومحركات البحث

تعتبر مواقع ومحركات البحث أداة هامة للتعلم والقراءة وإجراء البحوث، والاطلاع على المعلومات والأفكار والمعارف، غير أن استعمالها بحرية قد يؤدي إلى منزلقات خطيرة على الأطفال والشباب، الذين قد يجدون منفذاً للمواقع الإباحية، أو المواقع الخطيرة كمواقع الإجرام والقتل وعالم السحر والشعوذة وعبدة الشياطين وأنصار الحرية الجنسية والمثلية، أو مواقع الاستقطاب الديني كالتبشير أو التطرف أو إتباع ديانات أخرى وطقوس غريبة، لهذا يجب تكثيف الرقابة على الأطفال والشباب وعدم منحهم الحرية التامة سواء أثناء التصفح أو بعده، مع مراجعة هواتفهم وحواسبهم والاطلاع على أرشيف استعمالاتهم، وتشجيعهم على إخبار آبائهم أو أساتذتهم بما شاهدوه، ومناقشتهم حول ما اطلعوا عليه لفهم جوانبه وخطورته عوض الإبقاء على ذلك سرا، ما يزيد من خطورته عليهم. وتتجلى أهمية التربية الإعلامية في هذا الباب بإعطاء الأطفال والشباب معلومات مسبقة حول هذه المخاطر، لإعدادهم لمواجهتها، وتحصينهم ضدها، وتعزيز قدراتهم الشخصية والذاتية للتعامل مع ما يعترضهم من مثل هذه المواقف. لأن تقوية الرقابة الذاتية أنجع من الرقابة الخارجية، خاصة أن الأطفال والشباب، ونظرا لنزوعهم الثوري والمتحدي يميلون للممنوع، لهذا يجب أن يكونوا أكثر اقتناعا بالابتعاد عن هذه المواقع عوض ابتعادهم عنها خوفا ممن يراقبهم.

خاتمة

يقول بيير ليفي "إن التطور الذي حصل في العشر سنوات الأخيرة لم يسبق أن عرفه أي نظام تواصلي في تاريخ الإنسانية، فبعد اختراع المطبعة تطلب الأمر قرنا من الزمن ليتغير المشهد الثقافي الأوربي، وهو ما تطلب في عصرنا الحالي أقل من عشر سنوات فقط[35]، فإذا كانت هذه الثورة حسب بيير ليفي تحمل وعدا بتحقيق تطور إنساني وتغير ثقافي غير مسبوقين، فإن ذلك مشروط بحسن تلقيها واستقبالها والتعامل معها، وتجنب ما تشكله من مخاطر على الأفراد والمجتمعات، وهو ما تنبهت إليه المنظمات الإنسانية وعلى رأسها اليونسكو التي دعت إلى عدم حرمان أحد من إيجابيات ثورة المعلومات، وذلك بالتركيز على التربية الإعلامية وضرورة اعتمادها في البرامج الدراسية ليتسنى لهذه الثورة أن تحقق أهدافها الإيجابية المتمثلة في تحقيق التنمية، والتأسيس لمبادئ الحرية والعدالة الاجتماعية، لأن التفاوت في الغنى بالمعلومات أخطر من التفاوت في الثروة والوضع الاقتصادي كما يقول روبرت دال (R.dahl)[36]، لأن الثقافة والمعلومات أصبحتا اليوم أكثر أهمية من الاقتصاد في قيادة التغير الاجتماعي[37].

الهوامش:

[1] هناك من يفضل استعمال مصطلح التنشئة الإعلامية.

[2] اعتمدت كثيرا على كتاب أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، دار المعرفة للطباعة والنشر، القاهرة، 2015.

[3]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، دار المعرفة للطباعة والنشر، القاهرة، 2015، ص17.

[4]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص18.

[5]- Unesco,1984, p8.

[6]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص18.

[7]- Hobbs, R: Building citizenship skills through media literacy. Paperpress, 1998.

[8]-P. Aufderheid: media literacy a report of the national leadership conference on media queenstoun, december 92, p6.

[9]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص24.

[10]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص29.

Livingstone, S; Media Literacy and the challenge of new information and communication, the comm. Review,2004 ,p 13. [11].

[12]-Potter J: Media literacy, 2ed thousand, London New delhi, sage publications, 2001, p9.

[13]- بدر الصالح: دمج تقنية المعلومات في التعليم- بحث مقدم للمؤتمر الدولي حول التربية الإعلامية، الرياض، 2007، ص3.

[14]- إليزابيت ثومان: المؤتمر الدولي بجامعة تولوز حول الاتجاهات الجديدة في التربية الإعلامية، فرنسا، 1990، ص03.

[15]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص57.

[16]- أحمد إسماعيل: الإعلام التربوي ودوره في التربية والتعليم، دار كنوز المعرفة، عمان، 2008، ص43.

[17]- للمؤلفين Thompson وLearis

[18]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص52.

[19]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص53.

[20]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص52.

[21] وحدها لبنان تعتمد التربية الإعلامية ضمن برامجها الدراسية وخاصة في الثانوي.

[22]- مؤتمر الشباب والتربية الإعلامية Youth Media éducation Séville 2002

[23]-Carlsson et all ; Ease come, Ease go, the Role of wind fall money,2008,P 37.

[24]- Masterman .L ; Media Awareness Education, University of Nottingham, 1989, P59.

[25]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص90.

[26]- Potter J ; Media literacy, sage publications, California, 2003, p135.

[27]- Carlsson et all: ebid, p 50-51.

[28]- أحمد جمال حسن: التربية الإعلامية، م س، ص94.

[29]- نقلا عن موقع هوتسويت المتخصص hootswite.com بتاريخ 23 أبريل 2022.

[30]- شارلين بورتر: الإعلام الجديد ،التحول نحو المحلي، المجلة الأمريكية، ص29.

[31]- Alain Nana Ketcha: Media et intégration, Ed Harmattan, 2019. Paris p.95.

[32]- بيربورديو: التلفزيون وآليات التلاعب في العقول، ت درويش الحلوجي، دار كفان، ط1، دمشق، 2004، ص105.

[33]- يحي اليحياوي: في الإعلام والسياسة والأخلاق، منشورات عكاظ، الرباط، ط1، 2015، ص47.

[34]- P. Bourdieu, Sur la television, Raison d'agir, Paris, 2002. p.20.

[35] - Véronique Kleck ; Numérique et Cie, Ed Charles leopoldmayer ,Paris ,2007 ,p 60.

[36]- عبد الحليم حمود: فن غسل الأدمغة، دار الهلال للنشر، ط1، بيروت، 2008، ص 72.

[37]- تيمونز روبرتس: من الحداثة إلى العولمة، عالم المعرفة، ع 309، الكويت، 2004، ص 24.